اشكاليّة الرّسم
في ضوء الدّرس الصوتي الحديث

الاستاذ الدكتور حسام سعيد النعيمي*

كان ابن خلدون على صواب عندما ذكر في مقدمته (ان الخطّ والكتابة من عداد الصنائع الانسانية، وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية، وهو صناعة شريفة ...)[1].

وهذا على خلاف كلامهم على اللغة أتواضع هي أم الهام[2]، فالكتابة صناعة انسانية، وليس يعنينا أن يكون الانسان قد فكر قبل أن يتكلم، أو أن الافكار لا تكون من غير لغة[3]، ولكن الذي يعنينا ههنا أن محاولة التعبير عن الاصوات اللغوية بالرسم لابد أن تكون قد جاءت متأخرة عن التعبير بالاصوات عن المعاني التي في النفس، وفي كلام ابن خلدون المذكور آنفا ما يشير الى هذا المعنى اذ جعل الكتابة ثاني رتبة من الدلالة اللغوية، وفي هذا المعنى يقول Pyles :(لا نستطيع لهذا أن نعرف كيف بدأت اللغة، ولكننا واثقون من أنها ضاربة بجذورها في اعماق الزمن القديم، ولما بدأ الانسان الكلام كان قد أوجد حياة أخّاذة منذ ذلك الحين، ومضى وقت طويل قبل أن يبتكر نظاما للاشارات ينقشها على الخشب أو الصخر أو ما أشبه ذلك تصوّر ما كان يقوله عندما

---

* استاذ اللغة العربية في قسم اللغة العربية / كلية الآداب – جامعة بغداد.

(١) مقدمة ابن خلدون، ص٤١٧.

(٢) انظر : الخصائص ١ : ٤٠ ، وعلم اللغة لوافي، ص ٨٨-٩٧.

(٣) انظر : العلاقة بين اللغة والفكر، ص٢٠.

كان يتكلم. لقد كانت الكتابة، موازنة باللغة اختراعا عبقريا جديدا لايقل بريقا عن اللغة نفسها...)[٤].

وقد تباينت الأمم في التعبير عن اللغة بالرسم، فمنها ما عبر عن كل لفظة بصورة خاصة بها سواء كانت صورة المدلول أم خطوطا خاصة بالكلمة الدالة، ونجد ذلك في الهيروغليفية وفي بدايات الخط المسماري[٥]، ومن أشهر أمثلته اليوم الكتابة الصينية[٦]. ومنها ما عبر عن الوحدات الصوتية الصغرى بخطوط ثابتة الصورة تتكرر حيث تكرر الصوت، وعلى ذلك اكثر اللغات المعروفة اليوم ومنها العربية وهي موضوع بحثنا، والانكليزية، وهي اللغة الثانية التي سنفيد منها في هذا البحث.

ولاشك في أن تجزئة السلسلة اللغوية المنطوقة الى وحدات صغرى، ووضع الرموز لتلك الوحدات كان عملا عظيما، وفي هذا يقول جورج مونان:(إن ما يي لم يخطىء عندما قال: إن الرجال الذين اخترعوا واتقنوا الكتابة كانوا السنيين كبارا. وهم الذين خلقوا الألسنية)[٧].

لسنا هنا بسبيل التأريخ للرسم اللغوي وتطوره، ولكننا نريد أن ندرس مشكلة العلاقة بين الرسم والصوت من حيث التطابق والافتراق، ونسارع الى القول اننا لانشك في ان استعمال الرمز الكتابي للصوت اللغوي كان في أول وضعه على جانب كبير من التطابق، ولاسيما في الصوامت، اذ لايتصور أن يضع أهل اللغة أكثر من رمز كتابي للصوت الواحد، لما في ذلك من تبذير أو أن يضعوا رمزا واحدا لأكثر من صوت لأن في ذلك ما فيه من اللبس الذي كان الواضعون في غنى عنه وهم يبدأون وضع

---

(4) The origins and development of The English Language, P. 2.

(٥) انظر : تاريخ اللغات السامية، ص٣٥.

(٦) انظر : علم اللغة العام لسويسر، ص٤٤.

(٧) مفاتيح الألسنية، ص٣١ .

رموزهم الصوتية[٨]. بيد أن ثبات الكتابة بما فيها من تقييد وتحول الأصوات اللغوية بما يدخل عليها من آثار التطور والتعامل أدى بمرور الزمن الى وجود شيء من التباعد بين الرمز المكتوب وما يعبر عنه من صوت منطوق[٩]. وتباينت اللغات في شدة البعد بين الرسم والصوت، واصبح الاملاء مشكلة دائمة من مشكلات التعليم في اكثر أمم الارض، ولكنها جميعا أقرّت هذه المفارقة، وارتضت المشقّة حرصا على الموروث من النتاج المكتوب، وطلبا لاتصال الفكر الحديث بالقديم. وقد بلغت المفارقة في الانكليزية مثلا حدّا جعل واحدا من أبرز اللغويين المعاصرين يقول : (إن الطريقة التقليدية لكتابة اللغة الانكليزية أبعد ما تكون عن الاتّساق والثبات، فمعرفتنا بأصوات الكلمة لاتساعد على تهجّيها والعكس صحيح، اذ لاتستطيع نطق الكلمة اذا عرفنا هجاءها...)[١٠].

ومن أجل معالجة هذا الاشكال على مستوى الدرس التخصصي وليس على مستوى الكتابة اليومية حرص العلماء في الغرب على وضع رموز صوتية أطلقوا عليها اسم الرموز الدولية[١١]، تتصف بثبات العلاقة بين الرمز المكتوب والصوت المنطوق، وذلك سعيا الى الدقة في الدراسة الصوتية، على أنهم لم يطلبوا هذه الدقة في الكتابة اليومية، وفي هذا يقول فردينان دي سوسير:(هل هناك ما يسوّغ استخدام حروف هجاء صوتية عوضا عن نظام مستخدم للكتابة ؟... أعتقد أن حروف الهجاء

---

(٨) انظر : أصوات العربية بين التحول والثبات، ص٨٠.

(٩) انظر : علم اللغة لوافي، ص٢٧٥.

(١٠) هو (Otto Jespersen) على ما ورد في كتاب : في علم اللغة العام، ص٦٥، وانظر : الألسنية: مبادئها واعلامها، ص٢٧٧.

(١١) انظر : دراسة الصوت اللغوي، ص٧١ -٧٣، وانظر : بعض مظاهر التطور اللغوي، ص٩٣.

الصوتية ينبغي أن يقتصر استعمالها على اللغويين... فالدقّة الصوتية اذن غير مرغوب فيها خارج العلم)[١٢].

وقد آثرت قبل أن اتكلم على جانب من إشكال الرسم في العربية أن اقدم بين يدي ذلك جانبا يسيرا من المشكل في الانكليزية، وهي اللغة الثانية عندنا، لنري أن ما نجده في لغتنا ليس نسيج وحده بل هو أمر شائع في لغات أخرى، إن لم يكن ما في بعض تلك اللغات أكثر واعقد مما نجده في العربية.

الكتابة الانكليزية كتابة صويتية (Phonemic) أي ان كل صوت مفرد في السلسلة المنطوقة له رمز خاص به، وهكذا الشأن في العربية، ولكن الأمر لا يمضي بهذا الاتّساق حين ننظر الى مجموعة الالف باء الانكليزية وما ترمز اليه، فالصوت الثالث في سلسلة الالف باء عندهم الذي يرمز له بـ (C) ويقابل الصوت الذي يرمز له بالعربية بـ (س) نجده يعود بعد خمسة عشر حرفا بصورة (S) فاذا جئنا مثلا الى كلمة: Si: S / Cease / (توقّف) وجدنا الصوت الأول والآخر في النطق واحدا، فهذا يوافق ما عليه أصوات الالف باء الانكليزية اليوم، ولا نجد عناء كبيرا في معرفة سبب هذا الاسراف في الكتابة حيث وضع كتّاب الانكليزية رمزين لصوت واحد، ذلك أن الأصل أن يكون ما يرمز الى ما يقابل صوت السين في العربية هو(S)، أما (C) فقد عبر عن صوت(S) بسبب التأثر بالفرنسية، يقول Pyles : (بتأثير الفرنسية [المفترضة]) استعمل الناسخون في الانكليزية (الوسيطة) الرمز(C) قبل (E) و (I) في الكلمات الفرنسية (المُفترَضَة) كما في: City (مدينة) وGrace (نعمة) للتعبير عن القيمة الصوتية لـ: (Ts) في الفرنسية المبكرة الذي آل بعد ذلك الى : (S)، على أننا لم نر في الانكليزية (القديمة) أي موضع كان فيه (C) مشيرا الى صوت (S) ...)[١٣].

---

(١٢) علم اللغة العام، ص٥٢.

(13) The Origins, P. 40.

بل إن من مشكلات هذا الرسم (C) أنه يعبّر به أيضا عما يقابل صوت الكاف العربية ونجده في الف باء الانكليزية بالرمز: (K) وذلك نحو : Come / KΛm / (جاء) و Kohl / Kəul / (كحل)، بل نجد الرمزين يجمعان في آخر الكلمة للتعبير عما عبر عنه كل منهما منفردا كما تقدم وذلك نحو: Clock / Klok / (ساعة كبيرة)، بل نجد في الف باء الانكليزية رمزا آخر للتعبير عما يقابل صوت الكاف في العربية وهو(q) في نحو: quick / kwik / (بسرعة)، ولا نجد في الف باء العربية ما يمكن أن يدخل في مثل هذا الذي في الانكليزية، اللهم الا ما ذكر من تسمية الهمزة في أول الحروف بألالف وهي مسألة اصطلاحية مرجعها الى رسم الهمزة على صورة الألف في أول الكلام وذلك قبل أن يضع الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) رأس العين (عـ) رمزا لها[١٤].

وفي الانكليزية ما يرسم ولا يلفظ، وهو كثير بالقياس الى ما نراه في العربية في اللفظ المفرد، فمثلا كل (W) مهملة اذا تلتها (R) وكل (K) مهملة اذا تلتها (N)، وقد نظرت في (Longman Dictionar) المطبوع سنة ١٩٨١م على سبيل المثال، فوجدته يذكر أكثر من أربعين لفظة[١٥] تبدأ بالرمز (W) الذي يفترض أنه يقابل صوت الواو العربية، وقد تبعه الرمز (R) جاءت الالفاظ كلها بإهمال صوت (W)، ومنها: wreath / ri:θ / (ضفيرة)، و wretch / rets/ (بائس)، وwrap / rəep / (دثار)، وذكر اكثر من ثمانين لفظة[١٦] تبدأ بالرمز (K) الذي يقابل صوت الكاف العربية، يتبعه الرمز (N) الذي يقابل صوت النون العربية، وكلها تنطق بالنون غير مسبوقة بالكاف، منها: knee / ni: / (ركبة) و kneel / ni:l / (ركع)، و knife / nəif / (سكّين).

---

(١٤) انظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص١٨.

(15) Longman Dictionary, p.p. 1272 - 1275.

(16) Ibid, p.p. 609-612.

ومما يُرسم ولا يلفظ ما يقابل الجيم والهاء في العربية في نحـو: / nðit / night (ليل) و/rðit/ right (يمين) وقولهم : / sðin / sign (وقع) وقولهم: / wði / why (لماذا).

وليس في العربية ما يُكتب ولا يلفظ في الكلمة المفردة الا الألف والواو في مواضع محصاة[١٧]، وهي : الألف في مائة، وبعد واو الضمير في نحو : علموا ولم يعلموا واعلموا، والواو في عمرو في الرفع والجر، وفي أولات وأولي وأولئك نحو (وأولات الأحمال أجلُهُنّ أن يضعن حملهُنّ) و(وأولُو الأرحام بعضهم أولى ببعض) و(أولئك على هُدى من ربّهم).

وفي الانكليزية قد تأتي اللفظة بصوت واحد ويختلف الرسم، فمن ذلك: right (يمين)، و write (كتب)، و wright (صانع)، وكلها تلفظ / rðit /.

ومن اتفاق الصوت واختلاف الرمز وجود ما يقابل الياء المدّية في العربية في آخر كل لفظة مما يأتي: / bi: / be (كان)، و / si: / see (رأى) و / si:/ sea (بحر)، و / ki: / key (مفتاح)، فأنت تجد ما يقابل الياء في كلمة: كتابي، قد رُمز اليه مرة بـ (e) ومرة بـ (ee) ومرة بـ (ea) ومرة بـ (ey)، والصوت في ذلك كله صوت كسرة طويلة (I:).

ونجد فيها أيضا نقيض ما تقدم أعني أن يكون الرمز واحدا والصوت مختلفا، وقد قدّمنا شيئا من أمثلة ذلك في الصوامت، ومن أمثلته فيما ينبغي أن يكون رمزا لمصوّت أو نصف مصوّت (u) في قولهم: / ugly Agli / (دميم)، و / unite /ju:nðit (ربَط)، و / urge /3:d3 (حَثّ)، ففي اللفظة الأولى جاء (u) معبرا عن صوت همزة تتبعها فتحة مفخّمة (ء + ؤ)، وفي الثانية عُبّر به عن صوت الياء الاحتكاكية (غير المدية) متبوعا بواو مدّية (مصوت طويل) (يـ +ـو)، وفي الثالثة عُبّر به عن صوت الهمزة متبوعا بصوت الإمالة (ء + ئـ).

---

(١٧) انظر : أدب الكتّاب، ص٢٤٦ و ٢٥١ ، وجامع الدروس العربية، ٢ : ١٤٣ - ١٤٤.

ومثل (u) في هذا (w) حيث يعبّر به عن الواو الاحتكاكية (غير المدّية) في نحو: was/was/ (كان) ويعبر به أيضا عن الواو المصوتة (المدّية) في نحو: fju:/few/ (قليل)، وكذلك الرمز (o) اذ يعبر به عن الواو الاحتكاكية في نحو /wʌn/ one (واحد) وعن المصوّت الطويل في نحو: du:/ do/ (عمل)، وهذا عين ما نجده في العربية حيث يعبر برمز (و) عن الاحتكاكية في نحو: وجد / وَ جـ ـَ د ـَ / وفي نحو: أو / ء ـَ و /، وعن المصوتة، وهي مصوّت طويل في نحو: نقول / ن ـَ ق ـــُ ل ـُ / بل إن في الانكليزية من اختلاف الرموز في هذا الباب ما لانجده في العربية، فالرمز (w) يعبّر به عن الواو الاحتكاكية، والواو المصوتة، وكذلك الرمز (o)، كما ذكرنا آنفا، ولكنهما ليسا الرمزين الوحيدين للواوين إذ نجد الرمز (oo) معبرا عن المصوّت الطويل في نحو: tu:/ too/ (ايضا)، و fu:d/ food/ (طعام)، والرمز (wo) معبرا عن المصوّت الطويل ايضا في نحو: tu:/ two/ (اثنين).

ومع ذلك فالذي يكتب الانكليزية يرسم هذه الكلمات وغيرها بعد أن يكون قد حفظها من غير أن يعاني من مشكلة التمييز بين المصوّت الطويل والاحتكاكي، وكذلك كاتب العربية لايكاد يتنبه للفرق بين واو : وجد، وواو : نقول، وهو يكتب الكلمتين اذا أمليتا عليه، أو وهو ينشيء كلاما ترد فيه الواوان.

المشكلة اذن دراسية علمية وليست في الكتابة التقليدية، وقد تقدم كلام دي سوسير بشأن الدقة العلمية في الدرس الصوتي وأنها غير مطلوبة خارج العلم.

والكتابة التقليدية معذورة في الخلط بين المصوّت والاحتكاكي في الواو والياء، ولكن الدرس العلمي غير معذور في هذا الخلط، فضلا عن أن الدراسة الصرفية لتفسير التحولات الصوتية في الفاظ العربية ينبغي أن تقوم على أسس علمية صحيحة، فالمتكلم أو الكاتب اذا كان لا يعنيه الأصل المفترض للفعل (يغزو) مثلا ولا كيف صارت الكلمة (يغزون) لأن اللغة تؤخذ بالتلقي، فإن ذلك ونحوه يعني دارس الأصوات العربية وعلم الصرف العربي، وقد وجدنا في هذا الباب دراسات رائدة عند جان كانتينو،

وهنري فليش، والطيب البكوش، وعبد الصبور شاهين[١٨]، مما يمكن أن ينتفع به الدارس في تقديم التفسير البديل من تفسير القدماء الذين أوهمهم توحيد الرمز للاحتكاكي والمصوّت، وما دام الأمر لايعدو تقديم التفسير لما عليه اللغة من غير محاولة لتطويع الالفاظ اللغوية لهذه التفسيرات فإنه أمر نملك أن نقول فيه كما قال فيه أسلافنا، بل نملك أن نعيد النظر فيما قرروه، وقدموه على أنه تصورهم الأمثل في ذلك الشأن. ومن ذلك مثلا قولهم في غزا يغزو يغزوان يغزون (للذكور والاناث).

أما غزا : فقد قرروا أن الالف لا تكون أصلا في أسم متمكن ولا في فعل بل تكون منقلبة عن واو أو ياء[١٩]، والالف هنا عن واو لقولهم: يغزو، غَزوا، والفعل من الباب الأول أي ان الأصل: غَزَوَ، قالوا: تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا[٢٠]، أي: غَزَوَ← غَزَا، وقد ملنا في دراسة سابقة[٢١] الى احتمال أن تكون الألف في لام الفعل مفخمة أو ممالة، ثم آلت المخمة الى واو في المضارع وبقية التصريفات، وآلت الممالة الى ياء، ثم تخلّى المتكلم عن التفخيم والامالة في الألف فصارت اللام في نحو غزا ونحو رمى بصوت واحد هو صوت الفتح الخالي من التفخيم والامالة، فهذا تفسير، ويمكن أن يقال كما قال علماؤنا إن الأصل غَزَوَ بزنة نَصَرَ، ولكن لا نقول: تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا كما قالوا، بل نقول: حذف المزدوج الصاعد الذي يمثل مقطعا قصيرا ومُدّ الصوت بمصوّت المقطع القصير السابق فصار مقطعا طويلا مفتوحا، أي : غ ـَ ا ز ـَ ا و ـَ ← غ ـَ ا ز ـ

---

(١٨) في : دروس في علم أصوات العربية لكانتينو، والعربية الفصحى لهنري فليش، والتصريف العربي للكبوش، والمنهج الصوتي لشاهين.

(١٩) شرح الشافية، ٣ : ٦٦.

(٢٠) المنصف ١ : ١٩٠، شرح الشافية، ٣ : ٩٥ .

(٢١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص٢٠٤.

أما مضارع غزا فالأصل فيه أنه: يَغْزُوُ بزنة يَنْصُرُ، ويفسر القدماء تحوله الى: يَغْزُوْ بذهاب الحركة من الواو للثقل[٢٢]، فتسكن، والواو الساكنة المضموم ما قبلها واو مد[٢٣].

والحق أن هذا التفسير قاصر، لان الواو في الأصل المفترض تقابل الراء من ينصرُ، وتشكل قاعدة مقطع قصير فهي احتكاكية، وذهاب الحركة منها لا يحولها الى مصوّت بل يحدث تغييرا في البنية المقطعية للكلمة كالتغيير الذي يحدث في ينصرُ اذا سكنت الراء حيث تتحول قاعدة المقطع الأخير فيها الى المقطع السابق بعد ذهاب قمتها لتكون قاعدة النهاية له، وتحوله بذلك من مقطع قصير الى مقطع طويل مغلق، أي :

ي ـَ ن ا ص ـُ ا ر ـُ

↓

× ← ي ـَ ن ا ص ـُ ر

ومثل هذا يقال في الأصل المفترض ليغزو :

ي ـَ غ ا ز ـُ ا و ـُ

↓

× ← ي ـَ غ ا ز ـُ و

وهذا معناه أن الواو وهي لام الكلمة تبقى احتكاكية وتكون قاعدة النهاية للمقطع الثاني الذي تحوّل بسبب انتقالها اليه من قصير الى طويل مغلق، ولكن واقع لفظ المضارع من غزا أنه مكون من مقطعين: الأول طويل مغلق، والثاني طويل مفتوح مكون من قاعدة هي الزاي، وقمة هي مصوت طويل (الواو المدّية)، أي: ي ـَ غ ا ز ـُـ

ولا شك في أن هذا الصوت غير صوت ي ـَ غ ا ز ـُ و، لذا كان لابد من تقديم تفسير غير الذي أورده القدماء، فيقال إن الأصل المفترض كان يَغْزُوُ بزنة يَنْصُرُ،

---

(٢٢) حاشية الصبّان، ١ : ١٠٢.

(٢٣) شرح الشافية، ٣ : ٣٣.

والفعلان من الباب الأول، حُذف المزدوج الصاعد، وهو مقطع قصير، للتخفيف، فبقي مقطعان: طويل مغلق، يليه قصير.

مُدّ الصوت بقمة المقطع القصير فصارت مصوتا طويلا، وصار المقطع طويلا مفتوحا، وكأن ذلك كان تعويضا من الحذف، أي:

يـَ غ ا ز ـُ ا و ـُ

↓ ↓

ـّ × ← يـَ غ ا ز ـّ

وبهذه السمة، أي حذف المزدوج، واطالة الصوت بالمصوّت القصير الذي قبله[٢٤] نفسر نحو: قال وباع وخاف، ونحو سما ورمى، فنقول: إن أصل قال قَوَلَ، وباع بَيَعَ، وخاف خَوَفَ وسما سَمَوَ، ورمى رَمَيَ على ما قرره علماء العربية من الأصل المفترض لمثل هذه الالفاظ، متذكرين ما يعنونه بقولهم ان أصل قال قَوِلَ مثلا : (وينبغي أن يُعلم أنه ليس معنى قولنا: إنه كان الأصل في قام وباع : قَوَمَ وبَيَعَ، وفي أخاف وأقام : أخْوَفَ وأقْوَم وفي استعان واستقام : استعْوَن واستقْوَم، أننا نريدُ به أنهم قد كانوا نطقوا مدّة من الزمان بقَوَمَ وبَيَعَ ونحوهما مما هو مغيّر ثم إنهم أضربوا عن ذلك فيما بعد. وانما نريد بذلك أن هذا لو نُطق به على ما يوجبه القياس بالحَمْل على أمثاله لقيل: قَوَم وبَيِعَ واستقْوَم واستعْوَن... وأنه لولا ما لحقه من العلل العارضة لكان سبيله أن يجيء على غير هذه الهيئة المستعملة)[٢٥]. على أن الدكتور رمضان عبد التواب قد رجّح أن تكون العربية القديمة قد نطقت بعين الأجوف محركة، معتمدا في ذلك ما يسمع اليوم من لغة الحبشة، وهيّ لغة جزرية، من نحو: دَيَن في دان[٢٦].

---

(٢٤) انظر : المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٨٤ .

(٢٥) المنصف، ١ : ١٩٠ _ ١٩١.

(٢٦) انظر : لحن العامة والتطور اللغوي، ص٣٧٤، وانظر : مناقشة الرأي في الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص٣٦٦.

فالذي يقابل العين في الأجوف في الأصل المفترض قاعدة مزدوج هي نصف مصوّت احتكاكية، قيمتها قيمة صامت، والذي يقابل العين في واقع الحال مصوّت طويل، وهذا لا ينسجم مع طبيعة الصوت المقدّر، لذلك نقول: إن الأصل في قال قَوَلَ، حُذف المقطع الثاني وهو المزدوج، ومُدّ الصوت بمصوّت المقطع الأول، فوزن قال : فال، وكذلك الشأن في باع وخاف، أي:

ق ـَ ا و ـَ ا ل ـَ
↓ ↓
ـ × ← ق ـ ا ل ـَ

ب ـَ ا ي ـَ ا ع ـَ
↓ ↓
ـُ × ← ب ـ ا ع ـَ

خ ـَ ا و ـِ ا ف ـَ
↓ ↓
ـ × ← خ ـ ا ف ـَ

ومثل ذلك يقال في نحو سما ورمى فالأصل سَمَوَ ورَمَيَ، حُذف المزدوج ومُدّ الصوت بالمصوت القصير قبله فوزن الكلمة : فَعا، لا فَعَل، أي:

س ـَ ا م ـَ ا و ـَ
↓ ↓
ـ × ← س ـَ ا م ـ

ر ـَ ا م ـَ ا ي ـَ
↓ ↓
ـ × ← ر ـَ ا م ـ

ويمكن أن يقال في توجيه ثان لنحو: يغزو، وهو قول يقوم على تصوّر تشكيلي، إن الواو في يغزُوُ احتكاكية وهي نصف مصوّت، فلما وقعت بين مصوتين قصيرين سقطت، فالتقى المصوتان القصيران مشكّلين مصوتا طويلا. أي:

يـَ غ ز ـُ ↔ و ـُ

↓

× ← يـَ غ ز ـّ

ومثل هذا يقال في نحو : غَزَوَ وتحولها الى غزا، يقول برجستراسر : (...اتحاد الحركة السابقة للواو أو الياء بالحركة التالية لها، مع حذف الواو أو الياء نفسها، مثال ذلك: غزا، أصلها: غزَوَ، ورمى أصلها رمَيَ)[٢٧]

ويمكن أن يقال في توجيه ثالث: سقطت الضمة بعد الواو للتخفيف فانكسرت البنية المقطعية للمقطع الثالث حيث بقيت القاعدة وحدها بعد أن ذهبت القمة، فجعلت الواو قاعدة نهاية للمقطع السابق الذي تحول بذلك من قصر الى طويل مغلق، ثم حصل اتحاد في المزدوج الهابط بين المصوّت القصير(الضمة) ونصف المصوّت(الواو غير المدّية) فآل الصوت الى مصوّت طويل، أي:

يـَ غ ا ز ـُ ا و ـُ

↓

× ← يـَ غ ا ز ـُ و

↓

ـّ ← يـَ غ ا ز ـّ

وفي مثل هذا الاتحاد يقول برجستراسر : (اتحاد الواو أو الياء الساكنة مع ضمة أو كسرة سابقة لها، فمثال الواو مع الضمة : يُوْجد. ومثال الياء مع الكسرة : سيْرة..)[٢٨] ذلك أن الواو في يوجد على الأصل تقابل الفاء من يُفْعل فهي احتكاكية تشكل قاعدة النهاية للمقطع الأول وهو طويل مغلق وبعد اتحاد المصوّت القصير بنصف المصوّت (الاحتكاكية) صار الصوت مصوتا طويلا وتحول المقطع الى طويل

---

(٢٧) التطور النحوي للغة العربية، ص٤٨، وانظر : دروس في علم اصوات العربية، ص١٣٧.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٤٧، وانظر : دروس في علم اصوات العربية، ص١٣٨.

مفتوح، اما سيرة فوزنها إلى الأصل: فِعْلة، فالياء تقابل العين، وهي احتكاكية نصف مصوت التحدث مع (الكسرة) المصوت القصير مكونة مصوتا طويلا، أي:

يـُـواحـَادُ

↓

ـِـ ← يـِـاجـَادُ

سـَـيـَارَاتـُـن

↓

ـَـ ← سـَـيـَارَاتـُـن

والاتحاد في المزدوج المؤدي الى مصوّت طويل، هو عكس الانشطار في المصوت الطويل الذي يؤدي الى مصوّت قصير (ضمة أو كسرة) ونصف مصوّت (واو غير مدّية أو ياء غير مدّية) في نحو: مكرمو أبيك، ومكرمي أبيك عند تحولها في بعض اللهجات الى : مكرمُ وَبيك، ومكرَم يَبيك[٢٩]. أي:

مـُـكارِـامِـْاءَـابِـاكَـ

ا

ـُـ و × ← مـُـكارِـامـُـاوَـابِـاكَـ

مـُـكارِـامِـاءَـابِـاكَـ

ا ↓

ـِـ ← مـُـكارِـامِـايَـابِـاكَـ

حيث تحذف الهمزة التي هي قاعدة المقطع الرابع للتخفيف، فتنكسر البنية المقطعية اذ يبقى المصوّت القصير وحده وهو لا يشكل مقطعا، ولا يمكن الحاقه بالمقطع السابق اذ لا يكون مصوتان في مقطع واحد[٣٠]، لذا ينشطر المصوّت الطويل الذي كان قمة المقطع السابق مكونا مصوتا قصيرا هو قمة المقطع الجديدة، ونصف

---

(٢٩) شرح الشافية، ٣ : ٣٤ .

(٣٠) انظر : دراسة الصوت اللغوي، ص٢٤٣.

مصوّت يُجعل قاعدة للمقطع الذي فقد قاعدته بذهاب الهمزة للتخفيف. على أن بعض العرب أفاد من هذا الانشطار في تكرير نصف المصوّت ليكون قاعدة للمقطع الذي فقد قاعدته بالتخفيف وليترك المزدوج الهابط في المقطع السابق مشكلا مع الصامت الأول مقطعا طويلا مغلفا في مقابل الطويل المفتوح الذي كان أصلا قبل الانشطار، وبذلك يحافظ على القيمة المقطعية، ويحافظ على النبر بتحويله من نبر الهمزة الى نبر التشديد، فيقول في نحو: مكرمو أبيك مثلا : مكرمُوّ بيك[٣١]. أي:

م ـُ ك ا ر ـِ ا م ـّ ا ء ـَ ا ب ـِ ا ك ـَ

↓ ا

ـُ و ← و ← م ـُ ك ا ر ـِ ا م ـُ و ا و ـَ ا ب ـِ ا ك ـَ

ومن حديث الانشطار ما يجري على المصوّت الطويل في أخر الفعل المعتل عند نصبه في نحو: يدعو ولن يدعُوَ، ويرمي ولن يرميَ، ففي يدعو على واقع الحال مصوّت طويل لا يجوز أن يأتي بعده مصوّت، فإذا اضطررنا لاظهار الفتحة، وهي مصوّت قصير، كان لا بّد من احداث تغيير في المصوّت الطويل حتى يسوغ مجيء الفتحة بعده، لذا ينشطر المصوّت الطويل الى مصوّت قصير يحل محل المصوّت الطويل في قمة المقطع، ونصف مصوّت (قيمته قيمة صامت) يكون قاعدة للمقطع الذي قمته الفتحة المجتلبة علامة على نصب الفعل، أي:

ي ـَ د ا ع ـّ ا + ـَ

ا

ـُ و ← ي ـَ د ا ع ـُ ا و ـَ

هذا بالنظر الى الحال، واما بالنظر الى الأصل فيقال : الفعل يدعُوُ بزنة ينصُرُ، دخل عليه الناصب فحذفت الضمة وحلت محلها الفتحة علامة على النصب كما يقع لينصرُ ولن ينصُرَ، أي:

---

(٣١) انظر : شرح الشافية، ٣ : ٣٦.

يـ ـَداع ـُاو ـُا + ـَ

× ← يـ ـَداع ـُاو ـَ

ومثل ذلك يقال عن يرمي ولـن يرمِيَ على الحال وعلى الأصل، فيقال على الحال انشطر المصوت الطويل الى مصوت قصير يكون قمة المقطع الذي كان المقطع الطويل قمته، ونصف مصوّت يكون قاعدة للمقطع الذي قمته المصوت القصير المجتلب علامة على النصب (الفتحة)، أي:

يـ ـَرام ـِا + ـَ

ـِ يـ ← يـ ـرام ـِايـ ـَ

وعلى الأصل يقال : دخل الناصب على الفعل فحذفت الضمة واجتلبت الفتحة علامة نصب أي:

يـ ـَرام ـِايـ ـُا ـَ

ا ← يـرام ـِايـ ـَ

أما يغزون (للذكور) في نحو قولهم : الرجال يغزون، فالأصل عند علماء العربية : يغزُوُ بزنة يكتُبُ، سكنت الواو للثقل فصار : يَغْزُوْ، زيدت عليه الواو والنون فصار : يغْزُوْوْن، التقى ساكنان معتلان فحذف لام الكلمة الساكن، فصار يَغْزُوْن.

ويلاحظ أن الواو المقابلة لباء يكتب، وهي لام الكلمة، احتكاكية، أي ليست مصوتا (بل هي كما تقدم : نصف مصوّت) أما الواو التي في يغزو فهي مصوت طويل، لذا ينبغي أن يشار في التفسير الى ما تقدم من أن الصورة وإن كانت واحدة في الرسم الا أن الصوت مختلف، ويُورَد أحد التوجيهات الثلاثة المذكورة آنفا في بيان ذهاب لام الكلمة الاحتكاكي وحلول مصوّت طويل محله، ثم يقال : زيدت واو الجمع وهي مصوت طويل، ولا يلتقي مصوتان لأن المقطع له قمة واحدة كما تقدم، فحذف أحدهما ووزن الكلمة في كل الأحوال : يفعون، أي:

يـَ غ ا ز ـُ ا و ـُ

× ← يـَ غ ا ز ـُ و ا

ـّ ← يـَ غ ا ز ـّ ا + ـّ ا ن ـَ

ـّ ← يـَ غ ا ز ـّ ا ن ـَ ا

وكذلك عند اسناد الفعل الى جمع الاناث في نحو : النساء يغزون، فالقدماء يرون أن المضارع مبني عُلى السكون لاتصاله بنون النسوة وان الواو هي لام الكلمة فهو مثل يكتبْن، والحق كما تقدم أن هذه الواو مصوّت طويل، ولام الكلمة المقابلة لباء يكتب نصف مصوت (احتكاكية) لها قيمة صامت، وقد أوهمهم ههنا أيضا وحدة الرسم للاحتكاكية والمصوت الطويل، والتفسير الصحيح أن يقال : الأصل يغزُوُ بزنة يكتبُ دخلت النون فسكنت الواو فصار : يغزُوْن بزنة يكتبن بواو احتكاكية نصف مصوت، ثم وقع لهذه الواو ما وقع لواو يغزو في الإفراد، أي:

اتحد المزدوج الهابط مشكلا مصوتا طويلا، أو سقطت قاعدة المزدوج ومُدّ الصوت بالمصوت القصير تعويضا فصار مصوتا طويلا، ويكون الوزن أيضا : يفعون، والبناء مقدر على الواو المحذوفة التي هي لام الكلمة، كما قدر الاعراب على الياء المحذوفة في نحو : محامٍ في الرفع والجر. أما يغزوان ونحوهما فهي عند القدماء: يغزو، زيدت عليها الألف والنون، فتحركت الواو بالفتح رعاية للألف، ويشكل على هذا أن أصوات المدّ مصوتات طويلة، ولا يمكن أن يُسبق المصوّت بمصوّت. ويمكن أن يفسر اللفظ بأن الألف زيدت على أصل يغزو التي هي بزنة يكتب، ولام الكلمة واو احتكاكية غير متبوعة بمصوّت ثم زيد عليها المصوّت الطويل (الألف) فصار يغزوان بعد أن حدث تغير في البنية المقطعية للكلمة أي:

يـَ غ ا ز ـُ و ا + ـ ن ـِ ا

← يـَ غ ا ز ـُ ا و ـ ا ن ـِ ا

أي أن الواو الاحتكاكية التي كانت القاعدة الثانية للمقطع الثاني ليغزو، تحولت لتكون قاعدة أولى للمقطع الثالث بعد اضافة المصوّت الطويل.

ويمكن أن يقال على واقع الحال إن زيادة الألف أدى الى توالي مصوتين طويلين وهذا لا يكون فانشطر المصوّت الأول الى مصوّت قصير هو قمة المقطع الثاني ونصف مصوّت احتكاكي له قيمة صامت هو قاعدة المقطع الثالث، أي:

يـَ غ ا ز ـُ ا + ـ ن ـِ ا

ـُ و ← يـَ غ ا ز ـُ ا و ـ ا ن ـِ ا

ومن أمثلة التباس المصوّت بالاحتكاكي قولهم في نحو : يخشون، إن ألف يخشى حذفت بعد مجيء واو الجمع الساكنة وبقيت الفتحة دليلا عليها، أي:

يَخْشَىْ + و ن

× ← يَخْشَوْنَ

ومعلوم أن واو الجمع مصوّت طويل، وواو يخشَوْن جزء من مزدوج وهي احتكاكية ليست مصوتة، فهذه غير تلك،لذا كان لابد من تقديم تفسير آخر غير الذي قاله علماؤنا متأثرين بوحدة الرسم، فيقال : الأصل : خَشِيَ يَخْشَيُ، بزنة عَلِمَ يَعْلَمُ، حذف المزدوج الصاعد من آخر المضارع ومدّ الصوت بالمصوّت القصير الذي قبله فصار مصوتا طويلا، أي:

يـَ خ ا ش ـَ ا يـَ ـُ

ـ × ← يـَ خ ا ش ـ

ويلاحظ أن العربية أقرت المزدوج الصاعد في أخر اللفظ اذا كان قبله كسرة أو ضمة وقمته فتحة، نحو : لن يرميَ، ولن يدعُوَ، فإن كان قبله فتحة حُذف المزدوج ورجعل المصوّت القصير طويلا بمدّ الصوت به، نحو : لن يرضَيَ (وَ) ← لن يرضى. ويمكن أن يقال : إن مقطع المزدوج الصاعد إذا كان مسبوقا بفتحة حُذف ومُدّ الصوت بالفتحة، وإذا سُبق بضمة أو كسرة بقي، سواء كان متطرفا كما في هذا المثال أم في

الحشو كما تقدم من كلامنا على قال وباع وخاف. على أن من الدارسين من يرى سقوط قاعدة المزدوج وحدها واتصال المصوتين القصيرين اللذين يكتنفانها مشكلين مصوتا طويلا(٣٢).

هذا في تحول يخشَيُ الى يخشى فإذا لحقته واو الجمع عدنا به الى الأصل، أي:

يخشَيُ + ـُ ن، يُحذف مقطع المزدوج، وتحول الواو المدّية(المصوّت الطويل) الى احتكاكية لتكون قاعدة ثانية للمقطع الثاني اذ لا يتوالى مصوتان، أي:

يـَ خ ا ش ـَ ا يـُ ا + ـُ ن ـَ ا

× و ← يـَ خ ا ش ـَ و ا ن ـَ

ويكن أن يقال إن الواو المدّية (المصوّت الطويل) زيدت على الفعل على واقع الحال وليس على الأصل، أي بعد تحوله من يخشَيُ الى يخشى، ودفعا لتوالي مصوتين حُوّلت الواو المصوتة الى احتكاكية وجعلت قاعدة للمقطع المديد، وهو مقطع تتحاماه العربية في غير الوقف وفي غير ادغام قاعدته الثانية بمثلها في أول المقطع التالي في نحو : (ضالّا) و (آمّين) فتحوله الى مقطع طويل مغلق، أي:

يـَ خ ا ش ـ ا + ـُ ن ـَ ا

و

يـَ خ ا ش ـ و ا ن ـَ ا

يـَ خ ا ش ـَ و ا ن ـَ

أما مع ألف الاثنين فالتوجيه بالنظر الى الأصل أن يقال : إن العربية اكتفت بحذف المصوت القصير من المقطع الثالث بعد مجيء المصوت الطويل (الف الاثنين) اذ لا يتوالى مصوتان، أي :

يـَ خ ا ش ـَ ا يـُ ا + ـ نِ ا

---

(٣٢) انظر : التطور النحوي للغة العربية، ص٤٨، ودروس في علم أصوات العربية، ص١٣٧.

يـَ خ ا ش ـَ ا يـُ ا + ـ نِ ا

× ← يـَ خ ا ش ـَ ا يـ ـ ا ن ـِ ا

والتوجيه بالنظر الى واقع الحال ان يقال : إن العربية تحامت كثرة الحذف مع امكان العودة الى الأصل فأعادت الياء مع الألف تجنبا لكثرة الحذف، أي اذا زدنا المصوّت الطويل (الف الاثنين) بعد مصوّت طويل (ألف يخشى) فينبغي أن تسقط احداهما، إذ لا يتوالى مصوّتان، فنكون قد حذفنا الياء من أصل الفعل (يخشَيُ) ثم حذفنا ما جئنا به تعويضا عن المحذوف، فآثرت العربية لاضطرارها الى حذف العوض أن تعود الى المعوّض منه وهو الياء، عن طريق شطر المصوت الطويل الى مصوت قصير ونصف مصوّت هو الذي كان لام الكلمة قبل التحول وهو الياء، ويكون المصوّت القصير قمة المقطع الثاني، ونصف المصوّت قاعدة المقطع الثالث، أي:

يـَ خ ا ش ـ ا + ـ نِ ا

ـَ يـ ← يـَ خ ا ش ـَ ا يـ ـ ا ن ـِ ا

وانما صار الانشطار الى مصوت قصير (فتحة)، ونصف مصوّت من أصل ما في الفعل وهو الياء لأن الألف لا يكون منه نصف مصوّت.

وما قيل عن الواو المصوتة والواو الاحتكاكية يقال عن الياء المصوتة والياء الاحتكاكية، فقد أوهم الرسم علماء العربية فلم يقدموا التفسير الصوتي الذي كنا نرجو أن نجده عندهم، فمن ذلك كلامهم على حذف الحركة للثقل من نحو : يرميْ وأصلها : يرميُ، وواضح أن الفعل لم يكتف فيه بحذف الحركة بل حوّلت الياء الاحتكاكية (غير المدّية) فيه الى مصوّت طويل (ياء مدّية) وهذه غير هذه، لأن الأولى الاحتكاكية قاعدة المقطع القصير المكوّن من مزدوج صاعد في آخر الكلمة أما الثانية فمصوت طويل هو قمة المقطع الطويل المفتوح في آخر الكلمة الجديدة بعد التحول، فالأصل : يـَ ر ا م ـِ ا يـُ ا بزنة : يـ ـَ ض ا ر ـِ ا ب ـُ ا، وهي في الحال : يـ ـَ ر ا م ـِ ا، والتفسير الذي نختاره أن المقطع الزدوج الصاعد قد حذف للتخفيف، وعوّض عنه

باطالة الصوت بمصوت المقطع السابق له، فصار المقطع الثاني طويلا مفتوحا بعد أن كان قصيرا [٣٣]، أي:

يـَـرامـِـايـُـا

ـِ × ← يـَـرامـِـ

فإذا اتصل واو الجماعة بالفعل وهو مصوّت طويل، قلنا حُذف المصوّت الطويل من آخر الكلمة إذلا يتوالى مصوتان، وجُعل المصوّت الطويل الجديد (واو الجماعة) قمة لمقطع قاعدته قاعدة المصوّت الطويل المحذوف، أي:

يـَـرامـِـا + ـُـنَ ا

× ـُـ ← يـَـرامـُـانَـا

هذا عند النظر الى ما عليه لفظ يرمي وان الزيادة وقعت على اللفظ في واقع الحال، أما إذا جعلنا الزيادة بالنظر الى أصل اللفظ قبل التحول، فيقال : إن المقطع الثالث الذي هو مزدوج صاعد قد حذف بعد مجيء المصوّت الطويل وحذف المصوّت القصير الذي هو قمة المقطع الثاني لدخول المصوّت الطويل على المقطع اذ لا يتوالى مصوتان، فصار : يرمون، أي:

يـَـرامـِـايـُـا + ـُـنَ ا

× × ← يـَـرامـُـانَـا

أما يرميان، فالتوجيه، على الحال، أن يقال : إن الفعل يرمي ينتهي بمصوّت طويل فزيادة الألف وهو مصوّت طويل يؤدي الى توالي مصوتين وهذا لا يكون فانشطر المصوّت الطويل الذي في آخر الفعل وهو الياء الى مصوّت قصير يحل محل المصوّت الطويل في قمة المقطع، ونصف مصوّت يكون قاعدة للمقطع الجديد الذي قمته الف الاثنين وهو مصوّت طويل، أي:

---

(٣٣) انظر : المنهج الصوتي للبنية العربية، ص٨٤.